

البعد الثقافي والأيديولوجي في الرواية التونسية ((التوت المرّ)) لمحمد العروسي المطوي

Cultural intersection is represented in the Tunisian novel ((Bitter Berries)) by Muhammad Al-Arousi Al-Matwi

آسيا جريوي¹

1 - مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري - جامعة بسكرة ، الجزائر / assia.djerioui@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/01 تاريخ القبول: 2024/12/06 تاريخ النشر: 2024/12/31

Summary: The Arabic novel in general, and the Tunisian novel in particular, witnessed its emergence and development in recent times, after the emergence of the Western novel, which various researchers devoted themselves to translating, and which had a strong influence on the emergence of this art among the Arabs. The Tunisian novel was in its inception in the second half of the century. The nineteenth and the beginning of the twentieth century, based on some Western novels, passed through the stage of translation and adaptation in the art of fiction. In light of this cultural overlap between Western and Arab culture, especially (Tunisian), in the narrative writing of various works, we will therefore try to reveal the cultural and ideological dimension in the Tunisian novel through the novel ((Bitter Mulberries)) by Muhammad Al-Arousi. . How is the cultural and ideological dimension manifested?

Keywords: cultural conflict, novel, ideology, narrative, culture..

المخلص : عرفت الرواية العربية بشكل عام والتونسية بشكل خاص نشأة وتطورا في الآونة الأخيرة ، وذلك بعد ظهور الرواية الغربية التي انكب مختلف الباحثين بترجمتها ، والتي كان لها تأثيرا قويا في ظهور هذا الفن عند العرب ، ولقد كانت الرواية التونسية في نشأتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالاطلاع على بعض الروايات الغربية قد مرت بمرحلة الترجمة والاقتراس في الفن الروائي، وفي ظل ذلك التداخل الثقافي بين الثقافة الغربية والعربية وبالأخص (التونسية) في الكتابة السردية الروائية لمختلف الأعمال ، وعليه سنحاول الكشف عن البعد الثقافي والأيديولوجي في الرواية التونسية من خلال رواية ((التوت المرّ)) لمحمد العروسي ، فكيف يتجلى البعد الثقافي والأيديولوجي ياترى ؟

الكلمات المفتاحية : الصراع الثقافي ، الرواية ، الأيديولوجيا ، السرد ، الثقافة.

المؤلف المرسل: آسيا جريوي

الاميل: assia.djerioui@univ-biskra.dz

تمهيد :

بالرغم من تأخر ظهور الرواية بيد أنها تتميز بسرعة التطور والنضج ، إذ أن فترة السبعينات من القرن العشرين كانت فترة تشكل الرواية المغاربية ونظجها الفعلي وبالأخص الجزائرية والتونسية (صالح مفقودة ، 2008، ص12)، إلا أن لكل منهما بدايات أولية ومحاولات سرديّة . وإذا كنت الرواية الجزائرية قد مرت بمراحل في تطورها وتأسيسها قبل الثورة وبعدها إلى فترة السبعينات ، فإن الرواية التونسية أيضا عرفت مراحل في تطورها ((حيث يشير "بوشوشة بن جمعة" إلى أن للرواية التونسية بدايتين: الأولى تتحدد زمنيا مع أواخر الثلاثينات وبداية الأربعينات من القرن العشرين ، وتمثل هذه البداية أعمال محمد المسعدي ، "أحاديث أبي هريرة" التي ظهرت غير أنها لم تنتشر إلا في فترة 1973، أما البداية الثانية للرواية التونسية في نظر بوشوشة فهي تتحدد مع نهاية الستينات مع رواية "الدقة في عراجينها " " للبشير خريف " الذي يعد أب الرواية التونسية الحديثة والمعاصرة (صالح مفقودة ، 2005، ص16).

وهناك قصص وأعمال لها السبق في الظهور وتعد من البدايات الأولى في أواخر الثلاثينات ، منها : نص " الهيفاء وسراج الليل " لصالح السويسي القيرواني .

ونص "الساحرة التونسية " لمحمد الصالح الرزقي . وتعد هذه المحاولات ذات طابع اصلاحي وكما تتميز بأنها غير فنية (صالح مفقودة ، ص17).

ولقد تطورت الرواية التونسية في الفترة الأخيرة خاصة بعد الاستقلال ومن الأعمال الروائية "التوت بالمر" لمحمد العروسي المطوي التي سنقف من خلالها على دراسة البعد الثقافي والأيديولوجي وكيفية استخلاص التيمات ؟

أولاً: البعد الثقافي :

يعد البعد الثقافي مجموعة من التيمات والقيم المشتركة لدى المجتمع الواحد والتي تتمثل في السلوكيات والافعال والأفكار التي تكون في الحياة اليومية، وكذا العادات والتقاليد والتراث وكل ما يجمع حضارة عن أخرى ، فالمجتمع الغربي له ثقافته المتعارف عليها والمجتمع العربي الاسلامي له ثقافته أيضا غير أن الثقافات تتداخل بين الشعوب لوجود عوامل مختلفة منها الاستعمار ، أو البعثات إلى الخارج أو الهجرة والاعتراب مما يجعل الثقافات إما تتصادم وتتقاطع فتكون في حالة صراع أو تتداخل وتعايش فتكن في حالة تألف ، فكثيرا ما نجد مجتمع يقلد مجتمع آخر أو متأثر به في علومه وأدبه وفنونه وفلسفته كما استقادت روما سابقا حين استولت على اليونان من الفلسفة اليونانية ومن المسرح والعلوم والفنون الأخرى .وكما نجد الترجمات العديدة قد ساعدت في نقل الثقافات بين الشعوب .ونلاحظ في الأعمال الروائية العربية تصويرا للواقع والمجتمع بالكشف عن ثقافة المؤلف من جهة ومجتمعه من جهة أخرى ، ((ومنه غدت الثقافة حقلا وميدانا نقديا يفتح الفكر على كل منتجات العقل المتجلية في خطابات تبدو مختلفة ولكن تعود كلها إلى بنية ديامية فعالة)) (وحيد بن بوعزيز، جدل الثقافة ، ص7) أصبحت الثقافة مجالا للتناقف والتداخل تذوب فيه مختلف الهويات. وذلك من خلال التأثير والتأثر بين المجتمعات.

((فالثقافة لا توجد إلا بوجود المجتمع ثم إن المجتمع لا يقوم ويبقى إلا بالثقافة ،إن الثقافة طريق متميز لحياة الجماعة ونمط متكامل لحياة أفرادها ومن ثم تعتمد الثقافة على وجود المجتمع)) (مجموعة من المؤلفين ، نظرية الثقافة ، ص8) فهي تمد المجتمع وتساعد على تطويره وتغيير النمط فيه من خلال تداخل و تعايش الثقافات .

آسيا جريوي

وكما نلاحظ تعدد الثقافات في المجتمع وتمازج الافكار في بعض الشعوب ، وفي الرواية التونسية نجد تصويرا للمجتمع التونسي في فترة الحرب ضد المستعمر الفرنسي .تكشف جانب من طرق المستعمر في السيطرة على الشعب .

1- مفهوم التداخل الثقافي:

والتداخل الثقافي إما أن يكون بالتعايش الفكري أو الصراع الفكري بين ثقافة حضارة وحضارة أخرى فمن زاوية التعايش نجد تبادل الأفكار والثقافات والعلوم والفن والأدب في سبيل التكامل والانسجام بين الشعوب خاصة إذا ورد الاتفاق في الدين أو اللغة هنا تسهل عملية التبادل والتعايش الفكري والثقافي أما من الزاوية الثانية في تبرز الصراع بين الأطراف حيث أن كل طرف يريد التحكم والسيطرة فيولد صراع القوى بين الشعوب وهو ما نلاحظه في الدول المستعمرة ، و يعرف العالم "جوناثان إتش تورنر" (H. Turne) (Jonathan) الصراع الثقافي على أن سبب نشأته هو مجموعة من الاختلافات بين كافة التقاليد الثقافية والعقائدية، تلك الاختلافات التي تؤدي إلى حدوث خلافات بين البشر. (مفهوم الصراع الثقافي)

و كذلك يعرف هذا الصراع على أنه صراع يحدث عند انقطاع أمل حدوث الوفاء بتوقعات الأشخاص المتعلقة بسلوك معين يأتي من خلفياتهم الثقافية، حيث يكون للآخرين خلفيات ثقافية مختلفة بالإضافة إلى توقعات مختلفة. كذلك يصعب حل مشكلة الصراعات الثقافية بشكل نهائي، لأن أطراف الصراع يكون لهم معتقدات مختلفة ومن بين أمثلة الصراعات الثقافية، قضية التطهير العرقي. (مفهوم الصراع الثقافي)

ثانيا : البعد الأيدولوجي :

تعد الأيدولوجيا علم الأفكار فهي المعرفة الذهنية ((والايدولوجيا من طبيعة فكرية ولكنها ليست الفكر نفسه ، فالمعرفة هي المعرفة والفكر هو الفكر ولا حاجة ولا ضرورة ولا وظيفة للأيدولوجيا في حال كانت الأيدولوجيا هي المعرفة وهي الفكر)) (عبد الله ابراهيم ،ماهي الأيدولوجيا ؟ علم الأفكار أو الأفكار من دون علم، ص13)

والأيدولوجيا في الرواية هي الذهنية والأفكار الكامنة في العمل الفني والتي تكون رموز تتجلى في أدوار الشخصيات أو الأمكنة أو في المشاهد أو الأمثال والحكم أو الكلمات والأقوال تكون إشارات تعبر عن ذهنية الكاتب وأفكاره ومواقفه من المجتمع والمحيط الخارجي .

كما أن هناك اختلاف بين الأيدولوجيا في الرواية والرواية كأيدولوجيا بمعنى جملة من الأيدولوجيات و الأفكار المختلفة في الرواية أوالرواية كلها تدور حول موقف أو رؤية أيدولوجيه واحدة .

وفي تحديد الصراع الثقافي والأيدولوجي في الرواية التونسية ((التوت المر))نفق على تحديد الإطار العام لها كالآتي:

-ثالثا: رواية (التوت المرّ):

تعالج الرواية ((التوت المرّ)) جوانب سوسيولوجية ، فهي قصة ذات موضوع من الواقع الاجتماعي لدى المجتمع التونسي أثناء الفترة الاستعمارية ، حيث عمد الفلاحون إلى زراعة حقول من الحشيش دون الدراية أو معرفة نوع هذه النباتات الخضراء ، والقصة تحكي عن مجموعة من الشباب تحدد الوضع بعد معرفتهم لخطورة هذه النباتات ، فوقفوا ضد تعاطيه والاتجار به، وأطلقوا على أنفسهم اسم "جمعية إنقاذ الشباب" التي كان أعضاؤها: عبد الله

آسيا جريوي

ومحمود وإبراهيم ومختار، وهم أبناء قرية انتشر فيها حشيش التكروري خاصة بين الشباب، فكان هدفهم تطهير قريتهم من هذه الآفة، وتوعية السكان بمضارها ومنع تعاطيها. (أزهار عبد الغني).



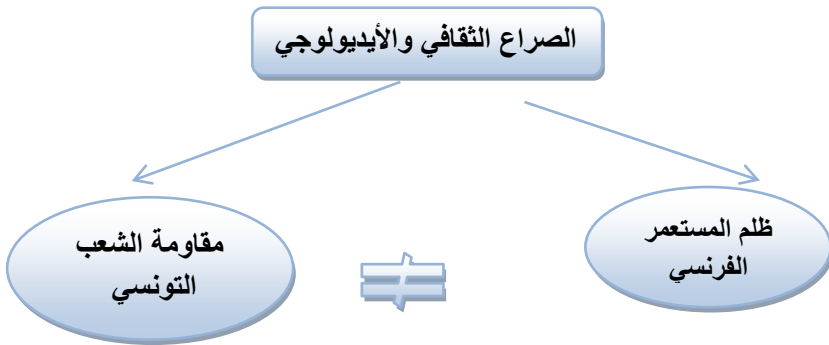
1-تمثلات الصراع الثقافي والأيديولوجي في الرواية :

1-1-الصراع الثقافي وأيديولوجي بين المستعمر الفرنسي والشعب التونسي:

يتجلى الصراع الثقافي و الأيديولوجي في الرواية بين الثقافة الغربية (الفرنسية) والثقافة العربية (التونسية) ، وذلك من خلال وجود طرف مسيطر ومستعمر وهي فرنسا وطرف آخر الخاضع للسيطرة وهي بلد (تونس) ، وتسرد الرواية جانب من جوانب السيطرة الفرنسية على الأرض التونسية من خلال زراعة الحشيش (المخدرات) أو ما نجده في الرواية بمصطلح (التكروري).

البعد الثقافي والأيدولوجي في الرواية التونسية ((التوت المزي)) لمحمد العروسي المطوي
وكما يتجلى الصراع الثقافي من خلال جهل المزارعين إلى نوعية هذه النباتات الخضراء في الحقول والبساتين ومدى خطورتها على الشباب التونسيين ومدى تأثير هذه النباتات على الشعب التي يقوم العمال الفلاحين بزراعتها تنفيذا لأوامر المستعمر الفرنسي .

وتسرد الرواية جانب من مقاومة الشباب التونسيين للاستعمار الفرنسي من خلال محاربة هذه الآفة بعد اكتشاف خطرها مما تتشكل مجموعة من الشباب وتقوم بمهمة حرق هذه المزارع والبساتين التي تم زراعتها . وتعد هذه مقاومة من طرف الشعب ضد الاحتلال الفرنسي المستبد، وتعبيرا عن رفضهم لهذا الوضع المزري. ويمكن تمثيل ذلك كالاتي:



ومن مؤشرات المقاومة والصراع في الرواية ما ورد من حوار الشباب التونسيين ، النص الآتي: ((وقال عبد الله : وإذا نجحت خطتنا ، وبلغ خبرها إلى السلطة ألا تعتبر ذلك عملا جماعيا وأمرًا ..وإنه إذا إتجه هذه المرة إلى مقاومة التكروري فقد يتجه في يوم ما إلى أشياء أخرى ؟..فعقب ابراهيم:-اهتمام السلطة بالأمر لا شك فيه...)) (محمد العروسي المطوي، 167،ص171).

دار هذا الحوار قبل تنفيذ الخطة في حرق المزارع إلا أن بعد تنفيذ المهمة شعر الشباب بنشوة الانتصار على المستعمر ولو بحرق هذه الحشيش ، كما في النص : ((علنا كلنا نشعر

آسيا جريوي

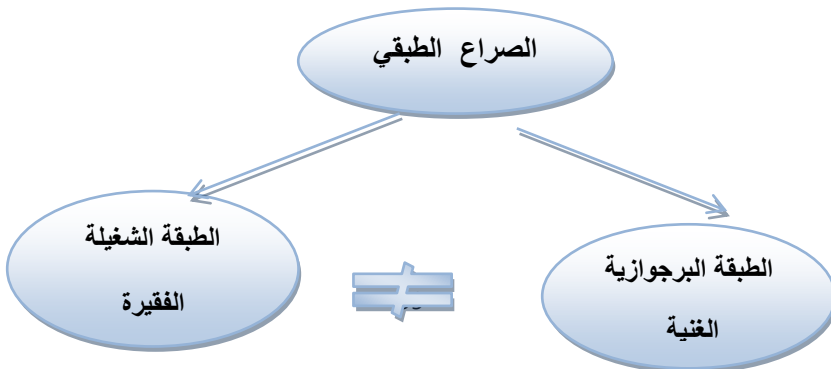
بنشوة الانتصار ...إنّه عمل في سبيل الخير...)) (محمد العروسي المطوي، 167، ص177). نلاحظ من الملفوظ السردي تعبيرا عن المقاومة ورفض الوضع المزري من طرف الشباب التونسيين الذين فهموا المخطط الاستعماري لغرض الحاق الضرر بالأهالي في القرى.

1-2- صراع ثقافي وأيديولوجي بين الطبقة البرجوازية والطبقة الشغيلة :

نلاحظ في الرواية وجود نوع من الصراع بين الطبقة البرجوازية والطبقة الشغيلة في المجتمع التونسي، ومن الشخصيات الروائية التي عبرت عن الطبقة البرجوازية .

- شخصية عبد الصمد: (البرجوازي) التي تعبر عن الجانب القوي والغني كما في النص : ((السيد عبد الصمد بليد أبلد. لكنه يعيش في الريش والحشايا..ينعم برغد العيش وبذخ الحياة وفق ذلك فهو يحسب أمثالنا من المعذبين في الأرض خدما له...)) (محمد العروسي المطوي، 167، ص17). وفي معاملته السيئة للعمال نجد النص : ((يكلفهم من عمل شاق ليمنّ عليهم بأبخس الأجر...)) (محمد العروسي المطوي، 167، ص17).

نلاحظ من النص نوعا من الاستبداد والتعسف بين الطبقة الحاكمة والشغيلة في المجتمع التونسي ، ويمكن توضيح ذلك كالاتي :



ويتجلى التصادم بين الطبقتين الحاكمة (الغنية) والشغيلة (الفقيرة) لدى التونسيين ، مما جعل التعارض بين القيم ، حيث تسرد الرواية أن من الطبقة الحاكمة من أصبح متعاوناً لدى الفرنسيين في خدمة فرنسا ضد العمال المزارعين الذين يقومون بزراعة حشيش خطير وهم في جهل مايزرعونه من آفة .

- شخصية الفتاة عائشة :

ويتمثل هنا الصراع في وصف المقاومة لدى شخصية عائشة من حالة المرض إلى حالة الشفاء ؛حيث تسرد لنا الرواية أن عائشة كانت مقعدة منذ مدة طويلة بعد أن وضعت مولودها أصيبت بمرض أقعدها الفراش مدة طويلة غير أنها لم تستسلم وبقيت تقاوم هذا المرض وفي آخر الرواية تقف الفتاة عائشة على قدميها مقاومة حالتها ، وهنا مؤشر إلى عودة الشعب التونسي إلى حالته الطبيعية بعد سيطرة الادمان والحشيش على الشباب في تلك الفترة فوصف حالة تحول الشخصية من وضع ضعيف إلى وضع قوي هو اسقاط لحالة الشباب في تلك القرية ، ولعل بحرق الشباب لمزارع الحشيش التكروري الخطيرة ، تتخلص القرية من مرض الادمان وتعود الحياة لدى الشباب إلى طبيعتها . ولعل قضية الادمان هي من أساليب المستعمر الفرنسي في الاحتلال على الأرض والسيطرة على الشعب.

ومما سبق يمكن القول أن الرواية ((توت المر)) عبرت عن جوانب مختلفة من الصراع الثقافي والأيدولوجي الذي عرفه المجتمع التونسي ، وفي العنوان أيضا نلاحظ تلك المفارقة كيف يكون التوت مر؟ ليعبر عن نوعية هذه النباتات كيف تكون خطرة لهذه الدرجة على الشباب ؟وتبقى دائما هذه من الوسائل المدمرة من طرف المستعمر للسيطرة على الأرض والشعب بشتى الطرق.

خاتمة :

يتمثل الصراع الثقافي والأيديولوجي في الرواية من خلال تعارض القيم و الأفكار بين المستعمر الفرنسي والشعب التونسي من جهة ، وبين الطبقة الحاكمة والطبقة الشغيلة من جهة أخرى ، ولعل حالة الفتاة عائشة كانت جانبا من المقاومة فهي مؤشر مقاومة الشعب التونسي للمستعمر .وعلى هذا الأساس يمكن ضبط النتائج الآتية :

1-نلاحظ الصراع الحضاري بين (المستعمر والتونسيين).

2-خطورة النباتات (الحشيش)بين معرفة المسعمر لها وجهل التونسيين.من العمال الفلاحين الذين يقومون بزرعة حقولا خضراء يجهلون ما هو الغرض منها لولا اكتشاف مجموعة من الشبان الامر والتخطيط لحرقها وكان ناجحا لانقراض الاهالي والمجتمع من خطورة ذلك.

3- من وسائل الاستعمار الفرنسي الوحشية زراعة التكروري العشب الخطيرة.

4-الصراع الطبقي بين الطبقة الحاكمة والشغيلة .

ومما سبق يمكن القول أن الرواية التونسية (التوت المرّ) تميزت بالجانب الاجتماعي وذلك بتسليط الكاتب الضوء على الصراع الطبقي ومعاناة الشعب التونسي من خلال استغلال أرضهم لزراعة حقول مضرّة وخطيرة وهي المفارقة للتوت المر .والكاتب في الرواية عبّر عن قضية اجتماعية لا تمس التونسيين فقط في وقتنا الحاضر بل تمس مختلف الشعوب في العالم .وعلى المجتمع الواحد حماية أبنائه وبلده.

المراجع :

1-ينظر : صالح مفقودة ، أبحاث في الرواية العربية ، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، قسم الأدب العربي ، جامعة بسكرة ، ط1 ، 2008 ، ص.12

البعد الثقافي والأيدولوجي في الرواية التونسية ((التوت المرّ)) لمحمد العروسي المطوي

2-ينظر: صالح مفقودة، نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل، مجلة المخبر' أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، المجلد 2، العدد 1، 2005، الصفحة 16 .

<https://asjp.cerist.dz/en/article/24207>

3- ينظر : صالح مفقودة ، نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل، ص.17

4-وحيد بن بوعزيز ، ججدل الثقافة (مقالات في الأخيرة والكلونيالية والديكولوجية) ،دار ميم للنشر والتوزيع ، الجزائر، ط2018، ص.1، ص.7

5-عرين البيروني ، مفهوم الصراع الثقافي من الموقع: <https://e3arabi.com>

6-عرين البيروني ، مفهوم الصراع الثقافي من الموقع: <https://e3arabi.com>

7- عبد الله ابراهيم ،ماهي الأيديولوجيا ؟ علم الأفكار أو الأفكار من دون علم، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد، العراق، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان ، بيروت ، ط1، 2017، ص13

8-ينظر:مجموعة من المؤلفين ، نظرية الثقافة ، تر:علي سيد الصاوي ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1970 ، ص.8

9-أزهار عبد الغني ، تلخيص قصة التوت المر – سطور ، من الموقع: <https://sotor.com>

10-محمد العروسي المطوي ، رواية التوت المرّ، الدار العربية للكتاب،النشر التونسي ،ط1967، ص.171

11-الرواية ، ص 177

12-الرواية ، ص.17

13-الرواية ، ص 17.